قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

أمـــن الـلـصـوص

اللص لا يشعر بالأمان أبداً. يستطيع بما سرقه توفير كل ما يبدو أنه بيئة آمنة له، أسيجة ومناطق عازلة، جند مجندة، سيارات مصفحة، ابتعاد دائم عن الناس، لكنه مع ذلك لا يغدو آمناً. ثمة صوت ينادي عليه "أيها اللص" صوت لا يسمعه إلا هو. ويظلّ الحرامي يقضي معظم وقته في تدبير أمور من شأنها إسكات هذا الصوت.. دون جدوى.

لا أتخيّل اللص إلا في مغارة، مغارة علي بابا، مغارته الخاصة التي يحملها معه حتى لو كان يسكن في ناطحة سحاب أو في المنطقة الخضراء.

وبمناسبة الحديث عن المنطقة الخضراء، خذوا التدابير الأمنية التي فيها والتي جعلتها تشبه فعلاً مغارة علي بابا، إنها ليست في العراق، المنطقة الخضراء دولة أخرى، لأن السفر إلى هذه المنطقة السوداء المصخمة يتطلب هويات مخصوصة وإجراءات أعقد من الإجراءات المتخذة في مطارات العالم، هي دولة داخل دولة، كهف هندسه القائمون عليه ليشعروا بالأمان، إعداد وقائيّ يضاف إلى إعدادات أخرى كالمصفحات والجيوش التي تحفّ بهم وتعذيب المواطنين في الشوارع المزدحمة بسبب مرور مركبات أمراء اللصوص وشيوخ النهابين قطاع الطرق.

اللص يطلب دائماً وأبداً مزيداً من الأمان حتى لو وضعوه في صخرة صماء في ليلة ظلماء في قعر محيط، يظلّ يتوجس شراً، يظلّ مرعوباً بسبب خوفه الشخصيّ الذي لا فكاك منه.

هناك إستراتيجية أخرى يقوم بها اللص "وكل لص خائف وجبان بالضرورة" لتطمين نفسه، إنه يخيف مَنْ حوله، يوحي لهم بالرعب ليتشاركوا وإياه خوفه الأبديّ، يسلب أمان الناس ما دام هو مفتقراً للأمان.

جزء كبير، بل الجزء الأكبر من سوء الوضع الأمنيّ الذي نحياه مكرهين؛ يتحمله الساسة اللصوص ساكنو مغارة علي بابا الخضراء، مشكلتنا أنهم ليسوا آمنين، يصرفون ميزانية دولة كاملة على أمانهم الشخصيّ أكثر مما يصرف أباطرة الشرق والغرب ولا يشعرون بالأمان، وما داموا كذلك لن يمنحونا أماننا، ولا ندري حقاً كيف ومتى تطمئنّ دواخل اللصوص لنطمئنّ نحن أيضاً.

لا يتوقع أحد أن لصاً خائفاً يسكن مغارة ويخاطب الناس من وراء حجب يمكن أن يصنع بيئة آمنة للآخرين، إنه مهووس بأمنه الشخصي، وهو هوس سيستغرق عمره كله، ولا يأبه لخوف الناس. ولهذا فإن أخبار الأيام الدامية التي يسقط فيها أبناء شعبي من أطفال ونساء وشباب لا تهزّ شعر واحدة في لحية فرد من شعب دولة اللصوص في الخضراء، هذه الدولة المجاورة لبغداد التي يكثر فيها قطاع الطرق.

هؤلاء الوحوش لن يصنعوا أماناً لنا، شغلتهم أن لا يصنعوا أماناً إلا لأنفسهم، سيظلّ عتاة المجرمين يهربون من السجون يومياً بمساعدة هؤلاء اللصوص. الساسة، وستظل السيارات المفخخة تحصد الشرفاء الكادحين الذين يرون في السرقة انتقاصاً للشرف والعفة والإيمان، وسيظل العراقيون البسطاء الطيبون السذج يطلبون أماناً من ساستنا اللصوص الذين لن يعطوا لشعبهم ولو كسرة أمن مما يملكون.

ساكن مغارة علي بابا وساكن المنطقة الخضراء يعرفان أن الحرامي لا يشعر بالأمان ولا يمنحه لأحد.

الأستاذ غالب الشابندر .. لم تخسر حياتك بل خسروا أنفسهم

□ساهر عريبي

الشابندر في محاضرة بلندن

وكيف يخسر حياته ، من يراعه لم يجف حبره منذ عقود وهو يسطر ملاحم فكرية خلّاقة، وكيف يخسر حياته من لذة العلم لديه فوق كل لذة، وهل يخسر حياته من لم يخسر نفسه وأبى أن ينزلها من علیائها لحضيض ساسة المنطقة الخضراء المليئة بالمؤامرات والدسائس؟وهل يخسر حياته من ترك آثارا خالدة سيذكرها المهتمون أبد الدهر،وهل خسر رجل علم وفكر حياته حتى وإن مات وطمر تحت الثرى؟

لم تخسر حياتك ويكفيك فخرا أن قلمك النحيف يؤرقهم ويقض مضاجعهم وهم عاجزون عن مقارعته برغم القوة التي يتمتعون بها ،سواء سياسية كانت أم عسكرية أم مالية أم دينية مزيفة.وكيف تخسر حياتك وقلمك لم يتكسر على أعتاب أبواب قصورهم كما انحنت تلك الأقلام التي لم تعرف في حياتها سوى الانحناء للطاغوت والدينار.أقلام لا تعرف سوى مدح الحاكم كائنا من يكون،أو تعجب أن تلك الأقلام البائسة الخاوية التي كانت تمدح أصابع صدام المجرمة التي اغتالت الصدر الشهيد فتقول له (إصبع من جفك يسوة الدنيا ومافيها) أو تعجب أن تتصدر المشهد الإعلامي اليوم فيما ما زلت تعيش أنت في المنفى؟ فلاتعجب لأنها أقلام برسم البيع والمشتري حاضر أن يدفع من مال العراق.

فلاعجب إن ناصبك هؤلاء العداء وأبعدك أسيادهم ولم يعطوك حقك إلا أنك ورغم ذلك لم تخسر حياتك .فمن خسر حياته هو من خسر نفسه ووقف على أبوابهم يستجدي منصبا أو مساعدة أو يكتب كتابا مزيفا أو مقالة يتقرب فيها إلى هذه الطغمة الفاسدة.وأما أنت فأبت نفسك الكبيرة أن تطلب من هؤلاء النكرات منصبا وإن كنت تستحق أن تجلس على رأس بيت الحكمة أو تصبح كبير مستشاري دولته السياسيين أو أن يكرموك ،وأنى لهم ذلك وهل تتوقع من فئة جاهلة متخلفة أن تكرم مفكرا؟وهل تتوقع من دولته النهوض بهذه الأمة وهو الذي يشرّد مفكريها وكفاءاتها في شتى بقاع الأرض ولا يقرّب سوى الفاسدين والمجرمين وأصحاب الشهادات المزيفة ؟ لقد خسروا حياتهم مذ خسروا أنفسهم بعد أن خانوا عقيدتهم وفكرهم، فحزبهم الذي تأسس لمقارعة الطاغوت ولإقامة العدل في الأرض سقط سقوطا مدويا في المستنقع،ولم يسبقه حزب إسلامي لا من الأولين ولا من الآخرين في مثل هذا السقوط!فذاك حزب العدالة والتنمية التركي الذي تزداد الجماهير التركية حبا له عاما بعد عام بسبب نزاهته وكفاءته ،وتلك حركة النهضة في تونس،وذلك محمد مرسي البسيط والمتواضع في مصر ،وذلك نجاد. وانظر إلى المالكي ورهطه جعلوا أرض الحضارات أضحوكة أمام العالم.

قبل أيام جاءنا لموقع العمل يهودي من أصل عراقي وهو مالك للبناية التي نعمل بها فسلم علينا ثم دخلنا معه في حديث سياسي حول إسرائيل ونحن نمازحه فقلنا له إن إيران ستنتج قنبلة نووية وستبيدكم في إسرائيل فضحك وقال مو مشكلة عندنا سبعة ملايين يهودي احتياط في أمريكا فضحكنا.إلا انه قال كلمتين ألمت الجميع.قال نحن في إسرائيل لا نملك سوى العقل وبنينا أنفسنا وأما أنتم فلديكم النفط ولكن انظروا لحالكم.ثم قال نحن كسنغافورة وهونك كونك.

فقلنا له إن المشكلة لدينا في فساد الحكومة ،فضحك وقال عمي والله ماصايرة البوك مو هيجي يابة دودولنه سياسييكم اندخلهم دورة بالسرقة في إسرائيل عمي احنه انبوك ٢٥٪ والباقي للشعب الإسرائيلي بس انتم البوك عدكم مية بالمية .هكذا هي سمعة العراق في عهد الأمين العام لحزب الدعوة الإسلامية ،حزب الشهداء .لقد خسر هؤلاء أنفسهم مذ تنكروا لمبادئهم ومذ تاجروا بدماء الشهداء ،كانوا يقولون لا يجوز الانتماء لحزب البعث ولو أدى الأمر إلى الموت،واليوم لا يقربون سوى البعثيين المجرمين.

لقد خسروا أنفسهم مذ سرقوا وطنا بأكمله ،سرقوا ترابه ومناصبه وسرقوا البسمة من شفاه أهله وأشاعوا فيه الموت والرعب بتعاونهم مع الإرهاب. فحزب الدعوة الذي يشرف على وزارة الداخلية يستورد أجهزة فاسدة لكشف المتفجرات كما كشف عقيل الطريحي المفتش العام وعضو الدعوة والذي قال بأنها ساهمت في قتل العراقيين. والقائد العام لايحرك ساكنا لأنه شريك في الجريمة.لقد وصلت بهم الدناءة إلى حد قتل العراقيين وسفك دمائهم من أجل المال!

لقد خسروا أنفسهم مذ سرقوا أفكارك وبنوا عليها مجدا زائفا سواء عبر الإعلان الشيعي أو عبر مشروع النجف أو عبر المقترحات التي قدمتها لدولته ،فهؤلاء تافهون خاوون تعجبك أجسامهم وهم خشب مسندة .ولقد خسروا أنفسهم مذ انحنوا يقبلون أيدي بريمر وأبسط مسؤول أمريكي.ولا أريد اليوم الحديث عن فضائحهم وذلتهم أمام الأمريكان أيام كنت أعمل في العراق من خلال منظمة الأمم المتحدة. كانوا يتصل بي وزراء وأعضاء كتل نيابية يطلبون مني مساعدتهم في الترجمة.

وكانوا يجرون الحسرات ويقولون لماذا لم نتعلم الانكليزية في المهجر؟كانوا يعيشون عيشة تافهة في الغرب فأصبحوا بين ليلة وضحاها قادة لبلاد الحضارات. فالوزير الفلاني يتصل بي ليلا شبه باك يطلب مني الاتصال بالأمريكان لأن الجيش الأمريكي منعه من دخول المنطقة الخضراء!والآخر وهو نيابي بارز يطلب مني ونحن جالسون في فندق الرشيد أن أترجم كلامه حرفيا للأمريكان.

فيبدأ كلامه أولا بالتحريض على الكرد ويختمه بالتوسل بهم لكي يعينوا وزيرا من كتلته في حكومة المالكي.

وأما النيابي القانوني فيطلب مني أن أساعده كذلك في الترجمة ،وأما طلبه فهو مساعدة مادية من الأمريكان لتمويل مشروع ،محذرا إياهم من عدم تمويله وإلا فان إيران ستموله وحينها سيخسر الأمريكان!يحرض أمريكا على إيران لتحقيق مصالح شخصية.وآخر ينحني بكل ذلة ليلتقط قلم مسؤول أمريكي وقع تحت كرسيه،وآخر مسؤول نافذ في رئاسة الوزراء يضيع مشروعا لبناء جسر في البصرة على شط العرب وقد جئت له بالمشروع كاملا.ويطول الحديث وسوف أذكر كل ذلك مفصلا في كتابي الذي هو الآن على وشك الإنجاز.

فهل تتوقع يا أبا عمار من مثل هؤلاء أن ينصفوك ويقدروك حق قدرك ؟فهؤلاء الذين يرفعون شعار مظلومية الطائفة وبأن السعودية وقطر تحاربانها،لا أظنك لا تعلم مدى نفاقهم ومدى علاقتهم الوثيقة بالسعودية ،حتى أن احد كبار زعمائهم يأتي إلى لندن فيلتقي بمعارض ليبرالي ينتقد السعودية فيطلب منه هذا الزعيم الكبير أن يخفف من لهجته بحق السعودية ! فتعجب منه وقال إن كان زعيمهم بهذا المستوى من النفاق فكيف بقواعد الإسلاميين؟

لم تخسر حياتك بل خسروا أنفسهم،بل خسروا حتى أهليهم ،أولم يرد ذلك الشاب على أبيه الداعية الذي عينه في منصب لا يستحقه قائلا له يا أبت لم تعلمنا على هذا من قبل وكنت تقول بان الكفاءة والعلم والنضال هي المعيار وهناك من هو أفضل مني حتى بكى الأب الذي كشف ابنه زيفه.فكما عرّى هذا الشاب الصالح أباه الداعية فإنك كذلك عريتهم وفضحت زيفهم وهم عاجزون عن الرد صامتون كصمت أهل القبور كأن على رؤوسهم الطير ، فلقد كذبت مقولة أبي تمام القائل السيف أصدق أنباء من الكتب وأثبت بأن القلم أصدق أنباء من السيوف والرماح والكلمة المقدسة لا يستطيع السيف قتلها،فاكتب يا أبا عمار واقطع رؤوسهم الخاوية بقلمك الحاد ،فهو كعصا موسى بن عمران تلقف ما كانوا يأفكون ،فلقد أخزيتهم في الدنيا ،وفي الآخرة هم الخاسرون لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصحبهم وذلك هو الخسران المبين.

تطـويـر الـعـمـلـيـة الـتـربـويـة

□حسين علي الحمداني

كيف يمكننا أن نقول بأن دولة ما في طريقها للتقدم والنهوض ؟ وما هي العوامل التي تجعلنا نتفاءل بالمستقبل؟

عادة ما تكون سبل التقدم لها مقدمات وأبرزها الخطط الخمسية أو العشرية،وليس الخطط الارتجالية غير المدروسة، والتصريحات النارية والتي تجعل المواطن يرسم للوطن ألف صورة وصورة .

فالجميع يعرف بأن تقدم البلد من تقدم التعليم وتحسينه وترصينه بحيث تكون مخرجاته واضحة من شأنها أن تبني إنساناً قادراً على استيعاب مرحلته وليس العكس .

ومن ينظر لواقع التعليم في العراق الآن لا يمكنه أن يتصور ثمة تغير اجتماعي وفكري وسياسي واقتصادي سيحصل بعد سنوات قليله ، ومستوى التعليم في البلد يعاني أشياء كثيرة أولها بالتأكيد اتباع المناهج التقليدية في التدريس ،وهذه المناهج أصبحت (خارج الخدمة) في الكثير من الدول بما فيها بعض الدول العربية ، ولكننا ما زلنا متمسكين بها رغم مخرجاتها السلبية في العقود الماضية ، ونحن هنا نتحدث عن المنهج المدرسي وهو بالتأكيد يختلف جذريا عن الكتاب المدرسي الذي هو جزء بسيط جدا من المنهج المدرسي الذي يشتمل على منظومة متكاملة من وسائل الإيضاح الحديثة ، ولكننا ما زلنا ننظر للكتاب على أنه المنهج وبغيره لا يكون هنالك منهج يدرس ويعلم، وتلك مشكلة كبيرة ترسخت في أذهان حتى "عباقرة التربية في العراق" الذين يفاخرون بأن يضعوا عبارة الطبعة الخامسة والثلاثين على الكتاب المدرسي وكأن العالم لم يتغير منذ ٣٥ سنة ، لكنه في مناهجنا فعلا ما زال العالم لم يتغير ولم يتطور وظلت حركة التاريخ متوقفة عند آخر كوكب درسناه منذ ٣٠ سنة وما زال في مناهجنا المدرسية هو الكوكب الأخير رغم اكتشاف كواكب شمسية أخرى جديدة .

وبقينا نعتمد على الكتاب المدرسي ونبحث عنه ونفتقده دون أن نفكر بتوفير ما يسند هذا الكتاب ويدعمه ويجعله حلقة من سلسلة تعليمية متكاملة، فإذا لم يصل الكتاب أصبحت مشكلة تشكل لها اللجان وتصرف عليها الإيفادات ، وتنظم لأجلها الندوات والمؤتمرات .

ونجد دائما من يشكو (تسرب الكتاب المنهجي المدرسي) وبيعه بالسوق السوداء على الأرصفة وشارع المتنبي وغيرها من الأماكن ، وحقيقة الأمر ما زالنا نفكر بذات المشكلات التي كان يفكر بها النظام المباد ، ونعتبر تسرب الكتاب المدرسي كارثة تهدد التعليم وتقضي عليه دون أن نفكر بتسرب الطالب والتلميذ من مدرسته ، أيهما أهم الكتاب أم من يقرأ الكتاب ؟

وهذا ما يجعل الدولة العراقية تنهمك في إيجاد حلول لمشاكل لم تعد مشاكل في دول أخرى ، فبإمكان وزارة التربية أن تضع المنهج المدرسي على قرص مدمج وتوزعه على طلبة المدارس خاصة في المراحل المتقدمة كالإعدادية خاصة ،وإن أغلب طلاب هذه المرحلة لديهم حواسيبهم الشخصية أو بالإمكان توزيع حواسيب لهم وهذا ليس ترفا كما يتصور البعض بل هو ضرورة تقتضيها مبررات النهوض ، نحن ما زلنا نخاف أن نضرب على لوحة المفاتيح وجل إدارات مدارسنا تتصور بأن الحاسوب (شيطان)، وحتى مديريات التربية في جميع محافظات العراق ما زالت تستخدم التعاميم الورقية ولم تفكر في يوم من الأيام بأن تعمم بريدها على الإيميل من أجل تقليص كمية الورق المستخدم من جهة والوقت المستغرق من جهة أخرى وتحديث المنظومة الإدارية التقليدية.

ما يمكن قوله إننا ما زلنا لا نهتم بالتعليم ، ونضعه في الخانة الثالثة أو الرابعة من أولوياتنا ، رغم أنه الأكثر أهمية من غيره ، فهل يعقل مثلا أن يتم إدخال منهج اللغة الإنكليزية للصف الثالث والرابع الابتدائي دون أن تقام دورة واحدة للمعلمين بغية تدريبهم على كيفية تدريسه؟ وهل يعقل مثلا أن تتغير أغلب المناهج الدراسية دون أن يتم تدريب المعلم والمدرس على ذلك ؟

أليس هذا إهمالاً أم سوء تخطيط رغم أن في وزارة التربية مديرية تخطيط ، وفي كل مديرية عامة للتربية شعبة تخطيط يديرها مسؤول كبير ، ويفترض أن يضع الخطط الكفيلة بالنهوض بالواقع التربوي .

لذا فإن ٥٪ من الميزانية العامة لا يمكن لها أن تجعل البلد ينهض لأن النهوض يبدأ من التعليم ثم المجتمع بكامله.

هذه حال طلبتنا

قانـــون البنـــى التحتيـــة

□يعقوب جبر

انقسم أعضاء مجلس النواب ما بين مؤيد ومعارض تجاه عملية التصويت على قانون البنى التحتية ، ويبدو أن ضعف الثقة والطريقة الخاطئة التي تعاطت بواسطتها الحكومة مع الشركات خلال السنوات الماضية ، وطبيعة صياغة مواد القانون ، وافتقار القانون لفقرات تجعله أكثر رصانة ؛كلها أسباب تقف وراء اعتراض بعض النواب ، ويبدو أن ما جرى في السنوات الماضية من تهاون بعض الشركات المحلية والأجنبية في عملية إعمار البنى التحتية هو دليل قاطع يؤكد هذا التهاون ؛ فالعديد من المشاريع التي أنجزت خلال السنوات الماضية لم تكن بمستوى الطموح لأن بعضها فاقد للجودة مع ارتفاع تكاليفها والآخر لا جودة فيه ، مما أدى إلى هدر المال وسوء إدارته والسبب غياب الرقابة والضوابط القانونية .

القانون الجديد نص في فقرته التاسعة على ما يلي (يصدر مجلس الوزراء تعليمات لتسهيل تنفيذ أحكام هذا القانون بضمنها آليات اختيار الشركات وطريقة الدفع والضمانات التي تقدم للشركات المنفذة) . لم تتضمن هذه الفقرة بندا ملزما للشركات المستثمرة يجعلها بمستوى الالتزام والمسؤولية لكي لا تملك أية فرصة للتهرب أو المراوغة أو التهاون في إنجاز المشاريع .

جاء في المادة العاشرة (ينفذ هذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية بهدف تنفيذ المشاريع الإستراتيجية والخدمية وإعادة إعمار المنشآت والبنى التحتية بطريقة الدفع الآجل من أجل النهوض بالواقع الاقتصادي العراقي.

وبحسب مشروع القانون فقد تم تخصيص (٣٧) مليار دولار موزعة كما يلي: تخصيص مبلغ مقداره مليارا دولار لمشاريع سكن الفقراء ومليار ونصف المليار دولار لمشاريع الطرق الخارجية مع زيادة تخصيصات التعليم العالي إلى ملياري دولار وثلاثة مليارات دولار للصحة، أما قطاع التربية فقد خصص له مبلغ خمسة مليارات دولار، مع تخفيض تخصيصات الزراعة والري إلى خمسة مليارات دولار والنقل إلى عشرة مليارات دولار ، ومن أجل منح المرونة اللازمة في اتخاذ القرارات المناسبة بشأن المشاريع من حيث شروط الدفع وآلياته ولضمان طرق اختيار وإحالة تلك المشاريع فقد تمت إضافة مادة لمشروع القانون تخول مجلس الوزراء إصدار تعليمات تسهل تنفيذ هذا القانون) .ثمة خلل في المادة العاشرة من القانون لأنها لم توضع بالشكل الذي يراعي الأولويات في توزيع المبلغ بين المجالات المختلفة ،فمثلا قطاع الزراعة والري يعتبر الأهم من بين القطاعات لأن ازدهاره يمثل ازدهارا للاقتصاد العراقي المحلي ، لكن ما تم تخصيصه من مبلغ غير كاف لتحقيق هذا الهدف ، وما تم تخصيصه لقطاع الطرق لا يسد الحاجة الماسة لتطوير هذه البنية الأساسية المهمة ، وما تم تخصيصه لبناء مساكن أيضا لم يكن بمستوى الطموح .

لا يمكن إنكار أهمية بعض المواد التي نص عليها القانون والتي تتحقق بموجبها مكاسب ومنافع على الأرض تخص آلية التوزيع للمشاريع بين المحافظات ، نصت المادة السابعة من القانون على ما يلي (تتولى الوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة تقديم مقترحات بشأن المشاريع المطلوب تنفيذها بموجب هذا القانون إلى اللجان الوزارية القطاعية والتي تتولى بدورها دراستها وتقديم توصياتها بشأنها إلى مجلس الوزراء لغرض اتخاذ القرار اللازم، على أن تراعي تلك اللجان السقف المالي المحدد لكل قطاع في الجدول المرفق بالقانون وعدالة توزيع المشاريع على المحافظات غير المنتظمة في إقليم والأقاليم والأخذ بنظر الاعتبار المشاريع الاتحادية التي تتجاوز الإقليم أو المحافظة الواحدة غير المنتظمة في إقليم)

نصت المواد ٤ ، ٥، ٦ على تقديم إعفاءات للشركات من العديد من الالتزامات ومنها الضرائب ، وهذا بحد ذاته دعم غير مسبوق لا بد أن يكون دافعا للشركات لكي تنفذ المشاريع بمستوى عال من الجودة لتثبت كفاءتها وحسن إدارتها .

جاءت الصياغة القانونية لبعض مواد القانون بصورة توحي بأن هنالك ضوابط ومعايير ستساهم في إنجاح المشاريع وإنجازها وإيصالها إلى مستوى عال من الجودة ، شرط إضافة مواد جديدة تجعله أكثر رصانة ومنفعة ، فالمعترضون على التصويت على القانون طلبوا ضمانات من الحكومة تتضمن تشديد الإجراءات الرقابية على الشركات التي ستنجز المشاريع القادمة ، عبر اتخاذ تدابير إدارية صارمة كفيلة بتحقيق النجاحات بالنسبة للمشاريع المزمع إنجازها .